(٨)
محنة العالم الإسلامى[١]

● **الخطبة الأولى:**

الحمد لله، الحمد لله الواحد القهار، العزيز المتكبر الجبار، مقلب الليل والنهار، ﴿ .. **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ** ﴾ [آل عمران: ١٣].

الحمد لله، مُنزّل الكتاب، ومُجرى السحاب، وسريع الحساب، وهازم الأحزاب.

الحمد لله، أمره بين الكاف والنون: ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾

[يس: ٨٢، ٨٣]

يا ربنا لك الحمد، كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك. سبحانك سبحانك، ما أعظم شأنك، وما أسطع برهانك، وما أغزر إحسانك، وما أعزّ سلطانك. سبحانك سبحانك، تؤتى الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء، وتذل من تشاء، بيدك الخير إنك على كل شيء قدير. سبحانك سبحانك، يا قاضى الحاجات، يا مجيب الدعوات، يا كاشف الكربات، يا رب الأرض والسموات. سبحانك سبحانك، نشكو إليك دماء سفكت، وحرمات انتهكت، ومنازل دمرت، ومساجد خربت، ومنشآت حُرّقت، بأى ذنب قتلت، وبأى جريرة دمرت. سبحانك سبحانك، نشكو إليك ضعف قوتنا، وقلة حيلتنا، وهواننا على الناس يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربنا، إلى من تكلنا، إلى عدو ملكته أمرنا، أم إلى قريب يتجهمنا. سبحانك لا إله إلا أنت، أنت الذى تعز من تشاء وتذل من تشاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم

---

(١) ألقيت فى جامع عمر بن الخطاب بالدوحة فى ٢٣ شعبان ١٤٢٢هـ الموافق ٩ نوفمبر ٢٠٠١م.

OBEIKAN.COM

الأحزاب وحده. وأشهد أن سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمداً عبدالله ورسوله. أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح للأمة، وجاهد فى الله حق جهاده، وتركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فمن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً، ومن يعصِ الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبينا.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا الرسول الكريم، وعلى آله وصحابته، وأحينا اللهم على سنته، وأمتنا على ملته، واحشرنا فى زمرته، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

● **أمريكا تتهيأ لحرب ضد أفغانستان:**

أما بعد فيا أيها الإخوة فى الإسلام.. أيها الإخوة فى قطر.. أيها الإخوة فى الخليج.. أيها الإخوة فى مشرق العالم العربى ومغربه.. أيها الإخوة فى العالم الإسلامى.. أيها الإخوة فى كل مكان فى هذه الأرض.. فى أوروبا وأمريكا وفى الشرق الأقصى وفى آسيا وأفريقيا.. أيها الإخوة المسلمون فى كل مكان:

تمر اليوم الأمة الإسلامية خاصة والعالم عامة بمحنة قاسية، عرفنا أولها، ولا ندرى آخرها.

يمر العالم الآن فى محنة.. فى حرب كونيّة.. حرب شاملة تأكل اليابس والأخضر، لا تفرق بين برىء ومسىء، تأخذ الظالم والمظلوم معا، إنها الحرب العالمية الثالثة، إنه التحالف العالمى.. التحالف العالمى الذى نشهده ليحارب فرداً واحداً.

أرأيتم أقوى دولة فى العالم وأعظم قوة عسكرية فى التاريخ، تجند جنودها وجيوشها وعددها وعتادها، كل هذا من أجل فرد واحد إرهابى – كما يسمونه – ومعه مجموعة من الناس؟! أمن أجل هذا الشخص وهذه المجموعة تشعل هذه الحرب العالمية الضخمة؟! إن المجرمين عادة تتعقبهم الشرطة، تهيىء لهم الأسباب وتنصب لهم الشباك حتى تقبض عليهم. أما أن تُشن حرب عالمية كونية شاملة، فما سمعنا بهذا فى التاريخ!

إنه لعجب من العجب، إنها أيام من أيام الله فى هذا الكون، وقد أمر الله سيدنا موسى أن يذكر قومه بأيام الله: ﴿.. **وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ**..﴾ [إبراهيم: ٥]. نحن

الآن فى هذه الأيام العجيبة العصيبة التى نرى فيها هذه الحرب التى تدمر وتهلك الحرث والنسل، والزرع والضرع، والإنسان والحيوان، فى هذا الشعب.. الشعب المسكين.. شعب أفغانستان الذى عانى ما عانى وقاسى ما قاسى أكثر من عشرين عاما، أهلكته الحروب والصراعات، وقدم الملايين من الشهداء ومن الجرحى ومن المعوقين ومن الأطفال المُيتمين والأرامل والثكالى.

ألم يكف هذا الشعب ما قدمه؟ ما ذنب هذا الشعب المسكين حتى يُدَمَّر؟ وهو مدمر بالفعل، والمدمَّر لا يُدمَّر!

لقد رأيت فى (قندهار) بيوتًا لا يصلح أن يسكن فيها آدميون من بقايا العصور القديمة، وآخرين يسكنون فى الخيام، وآخرين لا يجدون حتى الخيام.

هذا الشعب هل يستحق كل هذه الحرب؟

إنها حرب مجنونة.. حرب مجنونة لا عقل لها، لأنها تبحث عن عدوّ (زئبقى) لا يمكن الإمساك به، تبحث عن إنسان فى مغارة فى بلد فيه أحد عشر ألف مغارة! كيف يمكن الإمساك بشخص فى هذه المغارات وقد عرفها وخبرها وعايشها سنين طويلة؟!

إن الذى يلقى الثمرة المرة ويتجرعها هو الشعب الأفغانى.

إنها حرب لا عقل لها، لأنها حرب عُرف أولها ولا يُعرف آخرها. وهى حرب ظالمة لأنها تقتل البرآء، وتقتل المدنيين من الناس، خطأ أو عمدا، هذا هو الواقع. وهى تدمر كل المنشآت الحيوية التى يملكها هذا الشعب وكل البنى التحتية. لم هذا كله؟ لم هذا الحشد من هذه المعدات الضخمة: ب - ٥٢، والقاذفات العملاقة، والتنين السحرى، والقنابل العنقودية والانشطارية، إلى آخر هذه الأشياء؟ لم هذا كله؟ إنها حرب ظالمة، حرب غير عاقلة.

وليت الشعب الأمريكى والإدارة الأمريكية يستفيدون من الدرس. لقد وقفنا معهم حينما ضُربت منشآتهم بغير حق، أدَّنا هذا العمل، وقلنا: لا يجوز بحال من الأحوال استخدام الناس المدنيين فى الطائرات لنضرب بها أهدافًا أخرى، هؤلاء المدنيون الذين يركبون الطائرات لم يوكلوا أحداً فى أن يقتلهم وأن ينتحر بهم، كذلك الذين ضُربوا فى مركز التجارة العالمى، هؤلاء لا ذنب لهم، أدنّا هذا العمل.

ولكنا نُدين كذلك العمل المضاد لهذا العمل.

● **أمريكا تعالج الإرهاب بإرهاب أكبر:**

إن أمريكا تستخدم نفس المنطق الذى يستخدمه الإرهابيون! الإرهابيون يقولون: أمريكا ظلمتنا ووقفت ضدنا وفعلت كذا وكذا، ونحن لا نستطيع أن نصل إلى الإدارة الأمريكية فنحن نضربها فى الأشياء التى توجعها. هذا ما تقوله الإدارة الأمريكية! لا تستطيع أن تمسك بـ (بن لادن) فلتضرب الشعب الأفغانى كله!

بل أمريكا أعطت نفسها الحق الآن فى أن تغتال من تشاء! كل من تراه خطراً عليها وعلى أمنها القانون قد أعطاها الحق فى أن تغتاله! لا تحاكمه، لا تقدمه إلى محكمة، لا، هى تقرر، وهى التى تنفذ، هى الخصم الحكم، هى التى تملك سلطة الادعاء، وسلطة القضاء، وسلطة التنفيذ! هكذا يفعل الإرهابيون. الإرهابيون أحدهم يجعل من نفسه مفتياً، وقاضياً، وشرطيًّا منفّذا! هم يفعلون ذلك.

إذا كان الإرهابيون أفراداً يمكن أن يقع منهم الخطأ ويقع الالتباس، خصوصاً أنهم يعملون فى السراديب وفى الظلام وبعيداً عن أعين الرقباء. فكيف تفعل ذلك الدول الكبرى؟! كيف تتخذ نفس المنطق؟! هذا ما لا يقبل بحال من الأحوال.

والعجيب أن هذه الحرب حرب غير معروفة الزمان: متى تنتهى؟. ولا معروفة المكان: ماذا بعد أفغانستان؟. ولا معروفة الأعداء: من هم الذين سيضربون بعد ذلك؟ كل هذا مغطى ولا يعرف شىء عنه.

لا يعرف: متى تنتهى هذه الحرب؟ يقولون: إنها ستمتد مُدداً طويلة غير معلومة، هكذا يريدونها.

● **على من يكون الدور بعد أفغانستان؟**

ثم ماذا بعد أفغانستان؟ من العدو القادم؟ من الذى ستُكال له الضربة؟ الله أعلم بذلك. قد تكون العراق، قد تكون سوريا ولبنان، قد تكون إيران، وقد تكون باكستان التى هى حليفة اليوم، قد لا تصبح حليفة غدا، قد تكون

أندونيسيا، قد تكون أى بلد من هذه البلدان، لا يعرف. قد تكون الصومال، يقولون: الصومال، وماذا فى الصومال حتى يُضرب ويدمر؟! المثل يقول: الضرب فى الميت حرام، فماذا يُضرب فى الصومال؟ إنه لا يوجد فى الصومال إلا هذه الهياكل العظمية وبقايا الآدميين التى نراها على شاشات التلفاز.. بقايا من البشر لا يجدون القوت لا يجدون ما يمسك الرَّمق أو يطفىء الحَرَق، فكيف يُقاتل هؤلاء؟ وما الذى بينهم وبين الأمريكان؟ إذا كانت أفغانستان عندها (بن لادن) فمن عند الصومال؟!

ثم العراق، ألم يكفهم هذا الحصار لمدة أحد عشر عامًا وهذا الضرب المتواصل طوال هذه السنين؟ إن الذى يهمنا العراق بلداً، والعراق شعبًا. هم يزعمون أنهم يضربون (صدام حسين) ومن معه، والحقيقة أن الذى يُضرب هو الشعب العراقى.. هو الوطن العراقى..هو القوة العراقية.. هم الأطفال الذين يموتون من الجوع كل يوم، مليون طفل فى العراق ماتوا من الحصار، ماتوا من قلة الغذاء، ومن قلة الدواء، ومن قلة الرعاية. ما ذنب هؤلاء الأطفال؟

إلى من تتجه الحرب بعد ذلك؟ ربما تتجه إلى بعض البلاد بحكم أنهم يؤوون الإرهاب. وما الإرهاب؟ قلنا لهم: لا بد أن تحددوا مفهوم الإرهاب ومضمون الإرهاب، وهم قد رفضوا ذلك. أرادوا أن يظل هذا المفهوم عائمًا غائمًا هلاميًّا رجراجًا يفسره من يشاء بما يشاء وكيف يشاء. (مصر) طلبت من مدة طويلة أن يعقد مؤتمر دولى للإرهاب يُحدد ما هو الإرهاب؟ إلى آخره، ولكنهم لم يستجيبوا لذلك، لأنهم لا يريدون أن يحددوا مفهوم الإرهاب.

● **الإرهاب كما تراه أمريكا:**

وقد رأينا الآن قائمة الإرهابيين: المنظمات الإرهابية، والشخصيات الإرهابية، أمريكا تُجرعها لنا جرعة بعد جرعة بالتدريج. ذكروا فى أول الأمر حركة المجاهدين الكشميريين اعتبروها من المنظمات الإرهابية! وسكتت باكستان وسكت العالم العربى على هذا الباطل الصُراح، فحركة المجاهدين الكشميريين حركة وطنية، تدافع عن حقها فى الاستقلال والسيادة وفى تقرير المصير، تقاوم المحتلين لبلدها. اعتبروها إرهابية.

واليوم حصحص الحق، ووضح الصبح لذى عينين، وانكشف القناع، فإذا

هم يعلنون علنيًا أن جماعة (حماس)، وجماعة (الجهاد الإسلامى)، وجماعة (حزب الله) فى لبنان، و(الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) كل هؤلاء إرهابيون! بل قال بعض كبارهم: إن الانتفاضة ليست إلا إرهابا! هكذا، كتائب عز الدين القسام إرهابيون، سرايا القدس إرهابيون، كتائب تحرير الأقصى إرهابيون، جنود حزب الله إرهابيون، كتائب الثأر لأبى على مصطفى إرهابيون! وطبعًا الدول التى تؤوى هؤلاء تعتبر إرهابية! لا مانع أن يحاربوا سوريا لأن فيها فصائل فلسطينية من فصائل المقاومة! لا مانع أن يحاربوا لبنان لأنه يؤوى حزب الله!

كل إنسان معرض لأن يكون إرهابيًّا، قد أكون أنا مصنفًا فى الإرهابيين لأنى أؤيد العمليات الاستشهادية داخل فلسطين، وقد تكونون أنتم إرهابين لأنكم تسمعوننى، وكل من يؤيد الجهاد فى فلسطين والمقاومة المشروعة يعتبر فى نظرهم إرهابيًّا!

أما (شارون) وجماعة شارون الذين يسفكون الدماء كل يوم، ويقتلون الأبرياء كل يوم، ويهدمون المنازل كل يوم، ويستعملون الدبابات والصواريخ والمروحيات وسائر الأسلحة، ويحتلون المدن والقرى، ويفتكون بهذا الشعب البرىء الباسل، هؤلاء ليسوا إرهابيين!!

شارون وجماعته ليسوا إرهابيين! إنهم ضحايا مظلومون أما هؤلاء الصبيان الذين يقذفون بالطوب والحصى والحجارة! شارون وجماعته ضحايا هذا الظلم! ضحايا هذا العدوان الصبيانى! ماذا يفعلون أمام هذا التوحش الفلسطينى؟! إنهم يقابلون الحصاة بالقنبلة والنبلة بالمروحية! هذا ما يقوله المنطق الأمريكى: هؤلاء ليسوا إرهابيين، وصبيان فلسطين أطفال الحجارة والحصى إرهابيون! أى منطق هذا يا قوم؟

ثم إنك ترى أن كل من يقدم خيراً للإسلام والمسلمين يوضع فى موضع الشبهة، إلى أن يعلن عنه أنه إرهابى. بعض الجمعيات الإسلامية الخيرية التى تقدم الخير للمسلمين، تطعم الجائعين وتداوى المرضى وتكفل اليتامى وتؤوى المشردين وتكسو العراة، هذه الجمعيات الإسلامية الخيرية التى تقوم بعمل الخير فى البلاد الإسلامية اعتبرت من الإرهابيين. جمعية (مُوَفَّق) ومؤسسها الشاب الصالح رجل الخير السعودى (ياسين قاضى) قالوا عنها: إرهابية! أى إرهاب هذا؟!

وبالأمس أضافوا (بنك التقوى)، و(شركة البركات) التى تعمل أكثر ما تعمل فى الصومال المسكين الذى لا يجد قوت يومه. (بنك التقوى) – وأنا رئيس هيئة الرقابة الشرعية لهذا البنك – كان أنظف البنوك الإسلامية من ناحية معاملاته، كان أحرص على الالتزام بالأحكام الشرعية ولم يدخل فى أى معاملة فيها شبهة، حتى المرابحات التى يُساء تطبيقها كثيراً فى البنوك الإسلامية تنزه عنها، حتى سوق السلع والمعادن لم يدخل فيها. هذا البنك شُنت عليه حرب منذ عدة سنوات – شنها الإعلام الغربى والأوروبى فى سويسرا وفى إيطاليا وفى غيرها، فى الصحف والإذاعات والتلفازات – لا لشىء إلا لأن القائمين عليه ملتزمون بالإسلام. وخسر البنك، وكان يمكن أن يقف على قدميه، ولكن الحملات المتتالية استغلت هذا الأمر حتى سقط البنك صريعًا وحول إلى التصفية. والآن يضعونه على قائمة الإرهاب! ماذا بقى فى البنك حتى تضعونه على قائمة الإرهاب؟! إنه يُصفى الآن، ولا يكاد يصل إلى أهله شىء يُذكر من رؤوس أموالهم. (وشركة البركات) التى تعمل فى الصومال هذا البلد المسكين، ماذا عند الصوماليين؟ ليسوا من المليارديرات وليسوا من المليونيرات، إنه شعب مكافح معظمهم مغترب هنا وهناك، ويحول إلى أهله عن طريق هذه الشركة. فإذا هم يضعون هذه الشركة فى قائمة الإرهاب!.

أى احتمال، مجرد شبهة، مجرد شك، الشك يُفسر لمصلحتهم وليس لمصلحة المتهم، كل قوانين العالم تقول: الشك يُفسر لمصلحة المتهم. ولكن هذا كان قديمًا قبل الحادى عشر من سبتمبر، أما بعد الحادى عشر من سبتمبر فقد تغيرت الدنيا، وتغيرت القوانين، وتغيرت الفلسفة.

● **حرب ضد الإسلام الشامل المعتدل:**

إننا نريد أن نصدق الرئيس (بوش) بأن هذه الحرب ليست مواجهة مع الإسلام، ونريد أن نصدقه فى أن قوله: إنها حملة صليبية كانت زلة لسان، ولكن الواقع الذى نقرأه غير ذلك، إنها تتتبع العمل الإسلامى، والعمل الخيرى، والمؤسسات الإسلامية، والشخصيات الإسلامية ، وحركات الجهاد الإسلامى، تتتبعها لتجعلها من الإرهاب! إذا كان هذا هو الإرهاب فإذن هذه مواجهة مع الإسلام.

ليست مواجهة مع الإسلام الخرافى . . إسلام الموالد وإسلام الطقوس والإسلام الذى يسير فى ركاب الظالمين، ولكنها مواجهة مع الإسلام الحى . . الإسلام المتحرك . . الإسلام الذى يرفض الخنوع والاستسلام للصهيونية الغادرة، وللصليبية الماكرة، وللوثنية الكافرة، هذا الإسلام هو الذى يراد . وقد قال ذلك بصراحة أحد عبيد الفكر الغربى (سلمان رشدى) المرتد المعروف، قال : لماذا تقولون إنها حرب مع الإرهاب، إنها بصراحة حرب مع الإسلام السياسى .

ويقصدون بالإسلام السياسى : المسلمين الذى يطالبون بالإسلام منهجًا للحياة، ويطالبون بتحكيم شرع الله فى أرض الله على عباد الله، يطالبون أن يحكم المسلمون وفق عقيدتهم وشريعتهم .

أهذا ظلم؟ أهذا خروج على القانون؟

كل إنسان من حقه أن يكيف حياته وفق عقيدته حتى يرضى ربه، وينال مغفرته، ويدخل جنته، وينجو من ناره وعقابه . أليس هذا من حق كل إنسان؟ فلماذا لا يُترك هذا للمسلمين ليحكموا أنفسهم؟

هذا اسمه (الإسلام السياسى) . والإسلام السياسى هو مصدر الإرهاب فى نظر (سلمان رشدى)، الذى يسانده الغرب، ويقويه ويشد أزره، ويفتح له الأبواب المغلقة .

● **التحريض على الإسلام :**

بل إن أحد الذين حصلوا على جائزة (نوبل) هذا العام هو كاتب أديب حصل على هذه الجائزة فى كتاب قال فيه : إن أخطر شىء على البشرية هو : دين الإسلام . مادام هذا الدين قائمًا فسيظل يفرخ هذه الأنواع من العنف ومن الإرهاب . . . إلخ . ولا نجاة للبشرية إلا بأن يختفى هذا الدين . حتى إن الأجناس التى دخلت فى الدين من غير العرب لن تعود إلى سماحتها وإلى طيبتها إلا إذا خلعت رداء هذا الدين وعادت إلى أصلها وإلى وثنياتها القديمة!!

هذا الكاتب كوفىء بهذا الكلام فأعطى جائزة (نوبل) .

وهناك القس (روبرتسون) الذى رُشح مرة لرئاسة الجمهورية سنة (١٩٨٨م) . وهناك الأصولية المسيحية فى أمريكا التى يسميها بعضهم

الصهيونية المسيحية، التى تؤيد إسرائيل وتطلعات إسرائيل وأطماع إسرائيل، وترى فى انتصار إسرائيل بشيراً بالعودة الثانية للمسيح!

هذا كله يجرى أيها الإخوة.

إننا نريد أن نصدق أن هذه الحرب ليست مواجهة مع الإسلام. فنحن لا نريد مواجهات بين الأديان بعضها وبعض، ولا بين الحضارات بعضها وبعض، ولقد شاركنا فى الحوار الإسلامى المسيحى فى روما وفى القاهرة، وقلنا: إنه لا مانع أن تتعدد الحضارات وتتعدد الأديان، نريد أن نشيع ثقافة الحوار بدل ثقافة الصراع. ولكن الفلاسفة السياسيين فى أمريكا يقولون: إن الصراع حتمى بين الحضارات وخصوصاً الحضارة الإسلامية[1]! وكلمة الحضارة تخفى وراءها هذا القناع: (الدين الإسلامى). إنهم لا يريدون أن يقولوا (الدين الإسلامى) بصراحة، فهم يعبرون عنه بالحضارة الإسلامية.

وهناك كاتب آخر له كتاب يسمى: (نهاية التاريخ)[2] التاريخ انتهى إلى انتصار الرأسمالية الليبرالية الغربية على كل ثقافات العالم، وعلى كل فلسفات العالم، وعلى كل حضارات العالم.

إنها (العولمة) التى يريدون أن تشيع فى العالم وتحكم العالم. والعولمة – أيها الإخوة – هو اسم جديد للاستعمار القديم. الاستعمار القديم أراد أن يلبس لبوساً جديداً، ويتزيا بزى جديد، ولكنه هو هو. تتغير الأسماء والعناوين وتبقى المسميات والمضامين. الاستعمار يريد أن يغزو العالم الآن تحت اسم العولمة.

والعولمة فى حقيقتها ليست إلا (الأمركة). إنهم يريدون أمركة العالم: أن يدخل العالم تحت جناح هذا العملاق الكبير الذى أصبح متفرداً فى حكم العالم.

---

(١) وممن قال بذلك: (صمويل هانتنغتون) وذلك فى كتاب (صدام الحضارات) أو (صراع الحضارات) الذى ظهر فى سنة ١٩٩٥م، انظر ترجمته فى الخطبة السادسة: من المسئول عن أحداث الحادى عشر من سبتمبر وانظر: (المسلمون والعولمة) للعلامة القرضاوى، ص (١١٠ – ١١٥).

(٢) لمؤلفه (فرنسيس فوكوياما) المفكر الأمريكى اليابانى الأصل، وقد ظهر هذا الكتاب فى سنة ١٩٩٣م، انظر: (المسلمون والعولمة) للقرضاوى، ص (١٠٧ – ١١٠).

كان الناس قديمًا يجدون فى اختلاف القطبين الكبيرين رحمة، وكان السلف الصالح يقولون: اللهم اشغل الظالمين بالظالمين وأخرجنا من بينهم سالمين.

الآن انتهى الاتحاد السوفيتى، انتهى دوره ولم يعد له دور يُذكر. وأصبحت أمريكا هى القطب الأوحد الذى يسيطر على العالم، يعلن الحرب متى شاء، ويعلن السلم إن شاء، ويعلن أعداءه كما يريد، يقولون: إما أن تكونوا معنا أو مع الإرهاب! يا سبحان الله، ألا يوجد أناس يقولون: لسنا معكم ولا مع الإرهاب؟ قديمًا كانوا يقولون: إما أن تكونوا معنا أو مع السوفيتى. فقامت كتلة بشرية ضخمة من آسيا وأفريقيا تسمى نفسها: كتلة عدم الانحياز، وتقول: لسنا معكم ولا مع السوفيت. لماذا لا يقوم الآن من يقول: لسنا معكم ولا مع الإرهاب؟

ولكن من يجرؤ أن يعلق الجرس فى عنق القط؟ من يملك أن يقول لأسد الغابة: لا؟ من يملك أن يتصرف بحرية وسيادة؟ إنه لا يستطيع ذلك، ستسلط عليه أجهزة الإعلام تهاجمه صباح مساء، كما تُهاجم الآن المملكة العربية السعودية، كما تُهاجم مصر، وهؤلاء من حلفاء أمريكا، ومع هذا أمريكا تريد لهم أن يكونوا معها شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، فى الحق وفى الباطل، خطوة خطوة، وكلمة كلمة. لا تريد أن يكون لهم أى موقف.

وتريد من السعودية أن تغير نظام تعليمها ونظام فلسفتها التعليمية، حتى يكون تعليمها وفق الفلسفة الأمريكية، وفق الفلسفة الليبرالية. أما أن يكون وفق العقيدة الإسلامية ووفق الشريعة الإسلامية، فهذا التعليم لا يخرج إلا إرهابيين! هو الذى خرج (بن لادن) وأنصار (بن لادن)!.

هذا ما يريده هؤلاء.

إننا نعجب من هذا الموقف.

● **على أمريكا أن تعيد حساباتها:**

كنا نريد من أمريكا أن تأخذ درسًا وعظة من هذه الأحداث. الإسلام يعلم الناس إذا نزلت بهم مصيبة أن يسألوا: لماذا حدثت؟ ﴿**أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ**

OBEIKAN.COM

أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا (من أين هذا؟) قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ..﴾ [آل عمران: ١٦٥]، ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]. هذا هو شأن الإنسان المؤمن. إذا حدثت له أحداث أن يقول: ما الذى حدث؟ لماذا؟ لعلى أخطأت.. لعلى أذنبت، يراجع نفسه.. يراجع رصيده، ويقول: ﴿.... رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، ﴿.. رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧]، هذا هو شأن المؤمنين.

كنا نريد من أمريكا وقد وقعت بها هذه الأحداث الهائلة أن تتخذ منها درسًا وعبرة، وأن تقف وقفة المحاسبة وتقول: لماذا يكرهنى الناس فى كل مكان؟ لماذا وأنا أقدم معونات هنا ومعونات هناك؟ لابد أن هناك خللاً، لابد أن هناك خطأ. لماذا تقوم المظاهرات ضد العولمة، وضد منظمة التجارة العالمية حيثما عُقدت فى أى بلد؟ لم هذا؟ كله ضد أمريكا. ست وعشرون ألف منظمة تعارض العولمة، وتعارض مؤسسات العولمة. لماذا هذا كله؟ ألا يحق لأمريكا أن تنظر فى هذا؟

أهذه الشعوب كلها على خطأ وعلى باطل؟ أيكفيها أن بعض الحكام يجاملونها ويسيرون فى ركابها؟ هؤلاء لا يكفون. التعامل مع الشعوب.. مع نبض الجماهير.. مع إحساس الضعفاء.. مع الفقراء.. مع المساكين.. مع الجائعين، هو الأولى.

إن أمريكا عليها أن تتحسس آلام المستضعفين فى الأرض، بدل أن تحاربهم وتحاول أن تقضى عليهم.

إن أمريكا فى حاجة إلى أن تراجع نفسها.

صحيح أن أمريكا عندها من الأسلحة النووية والكيماوية والجرثومية ما تستطيع أن تؤدب به من تشاء، ولكن الضعفاء عندهم أسلحة أخرى، عندهم أسلحة لا يملكها الأمريكان. الضعفاء والمظلمون عندهم سلاح (الدعاء) يتضرعون به إلى الله، يرفعون أكفهم إلى السماء، ويقولون: يا رب يارب،

« . . ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، وتُفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين»[1]. كان بعض السلف يقول: (إياك ودمعة اليتيم ودعوة المظلوم فإنهما تسريان بالليل والناسُ نيام). وقال النبى ﷺ لمعاذ ابن جبل: «اتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[2].

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً فالظلم ترجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبهٌ يدعو عليك وعين الله لم تنم

إننا نحذر (بوش) وإدارته من سهام القدر، ودعاء السحر، وكل أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره. نحذره من هذه السهام.. سهام الدعوات التى تصدر من ألف مليون مسلم فى العالم، يوجهونها إلى الله، بأكف ضارعة، وقلوب خاشعة، وأعين من خشية الله دامعة. نحذره من هذه السهام:

سهام الليل صائبة المرامى إذا وُترت بأوتار الخشوع
يصوبها إلى المرمى رجال يطيلون السجود مع الركوع
إذا أُوترن ثم رمين قلباً فما يغنى التحصن بالدروع

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل يوم هذه الأمة بل يوم هذه البشرية خيراً من أمسها، ويجعل غدها خيراً من يومها، وأن يحسن عاقبتنا فى الأمور كلها، ويجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة.

ادعو الله يستجب لكم.

● **الخطبة الثانية:**

أما بعد:

● **حول منعى من دخول الإمارات:**

فقد سألنى كثير من الأخوة عما حدث معى فى مطار أبو ظبى الدولى.

---

(١) رواه أحمد (٨٠٤٣) وقال محققو المسند: حديث صحيح بطرقه وشواهده، والترمذى وقال: حسن، وابن ماجة، عن أبى هريرة، وأوله: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حين يفطر» (فيض القدير للمناوى: ٣/ ٣٢٤ برقم ٣٥٢٠).

(٢) متفق عليه كما فى اللؤلؤ والمرجان (١٢) رواه البخارى فى الزكاة (١٤٩٦) ومسلم فى الإيمان (١٩) عن ابن عباس.

OBEIKAN.COM

بعض هؤلاء يسألون مخلصين، وبعضهم يريد أن يصطاد في الماء العكر، أو أن يعكر الماء ليصطاد، يريد أن يجعل من الحبة قبة ومن الشرارة نارا محرقة.

وأود أن أقول لهؤلاء الإخوة مخلصين كانوا أو غير مخلصين: إن ما بينى وبين دولة الإمارات وشعب الإمارات: أعمق وأعظم وأكبر من أن يؤثر فيه حادث عارض. سواء كان سببه تصرف فردى خاطىء، أو انفعال سطحى عارض، فلا يجوز لعقلاء الناس أن يتخذوا مواقفهم بناء على تصرفات فردية خاطئة أو انفعالات سطحية طارئة.

لقد ظللت ثلاث سنوات أذهب إلى فضائية أبو ظبى فى برنامج مفتوح على الهواء: أُسأل وأجيب ولا حرج على، ولم يعترض على أحد، لم يكتشف أحد أنى إرهابى، لا بعد أسبوع أو أسبوعين، ولا بعد شهر ولا شهرين، ولا بعد سنة ولا سنتين. وكان هذا بطلب وإصرار من وزير الثقافة والإعلام الشيخ عبدالله ابن زايد حفظه الله.

وكانت جريدة (الاتحاد) الظبيانية اليومية تنشر لى فى كل يوم مقالة، . . فى كل يوم خلال السنوات الماضية.

وحينما عاد سمو الشيخ زايد بن سلطان رئيس الدولة، هُرعت لأسلم عليه وأهنئه بالشفاء وبسلامة العودة. وقلت فى حوار لى مع أحد الصحفيين: إن الشيخ زايد رجل أحب شعبه فأحبه الشعب. ونُشر ذلك فى الصفحة الأولى وفى أول خبر فى الصحيفة. وأنا قلت هذا مخلصاً، والرجل حينما لقيته احتفى بى احتفاءً بالغا وبود وحب غير متكلف.

وقد كرمتنى - أيها الإخوة - دولة الإمارات فى رمضان الماضى فى إمارة دبى، فى شخص الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم الفارس الشاعر الذى كرمنى بكلامه أكثر مما كرمنى بجائزته. وتبنى مشروعات إسلامية كبرى هو وأخوه الشيخ حمدان بن راشد: المؤسسة الإسلامية العالمية لرعاية الموهوبين، وموقع (islam- online) على شبكة الانترنت.

أنا أقول هذا لا نفاقًا لأحد، فوالله ما تعودت فى حياتى أن أنافق حاكمًا، فكيف أنافق وأنا فى الخامسة والسبعين؟ أنا أقول هذا مخلصاً. أنا - والحمدلله - أغنانى الله، ولست فى حاجة إلى أحد، ولم أخف، ولم أطمع؟ مم أخاف، وفيم

أطمع؟ أنا لا أخاف إلا الله، ولا أطمع إلا فى مغفرته ومثوبته، وبينى وبين القبر خطوات. أنا أقول هذا بإخلاص، وأقول هنا ما قاله أبو العتاهية فى أرجوزته:

حسبك مما تبتغيه القوت ما أكثر القوت لمن يموت!

وأنا عندى أكثر من القوت.

الإمام الشافعى رضى الله عنه يقول:

أمطرى لؤلؤا جبال سرند يـ ـب وفيضى آبار تبريز تبرا
أنا إن عشت لست أعدم قوتا وإذا مت لست أعدم قبرا
همى همة الملوك ونفسى نفس حر ترى المذلة كفرا
وإذا ما قنعت بالقوت عمرى فلماذا أهاب زيدا وعمرا

أنا لا أهاب زيداً ولا عمرا، ولا أطمع فى زيد ولا عمرو. إنما أحب أن تكون صلتى بالناس صلة مودة ورحمة ومحبة. وهكذا كانت صلتى بدولة الإمارات، وبحكام دولة الإمارات: الشيخ الدكتور سلطان القاسمى الذى كرمنى فى أكثر من مناسبة، الشيخ حميد بن راشد النعيمى الذى كرمنى فى أكثر من مناسبة. وشعب الإمارات نفسه أعتبرهم أهلى وأسرتى، وإخوتى وأحبتى.

بل أنا – أيها الإخوة – لا أعادى مسلماً قط، وإن ظلمنى. هناك من هاجمونى وشتمونى، ولكنى متصدق بعرضى عليهم، وأعرف أنهم لم يعرفونى، والله لو عرفونى ما قالوا ما قالوا، ولكنى أنا مسامح فى حقى، حقى الشخصى مسامح فيه. الذى لا أسامح فيه هو حق الإسلام وحق الأمة المسلمة، الذين يعتدون على هذا الدين أو على أمته، لا أملك أن أسامحهم.

أما من أساء إلى فأنا أسامح وأعفو، وأسأل الله تعالى أن يغفر للجميع، وقد قال تعالى: ﴿**وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [النور: ٢٢]. نزل هذا فى شأن أبى بكر حينما وقف من بعض أقاربه الذين أساءوا إلى ابنته عائشة رضى الله عنها، فقال: بلى أحب أن يغفر الله لى.

بل أنا لا أعادى غير المسلمين إذا كانوا مسالمين لهذه الأمة. أنا لا أعادى إلا من يعادى هذه الأمة، ولا أحارب إلا من يحاربها. أما المسالمون من غير المسلمين فأنا أبرهم وأقسط إليهم كما علمنا القرآن: ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ [الممتحنة: ٨]. فالذين يسالمون المسلمين أبرهم، وأقسط إليهم، وأحب الخير لهم، وأتمنى الهداية لهم، وأتعامل معهم باعتبارهم إخوتى فى البشرية. فالإسلام علمنا أن البشرية كلها أسرة تشترك فى العبودية لله والبنوة لآدم، كما جاء فى الحديث: «يا أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، لا فضل لعربى على عجمى، ولا لعجمى على عربى، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم»(١).

* * *

(١) تقدم تخريجه فى خطبة (وقفات مع حجاج بيت الله الحرام).

OBEIKAN.COM

(٩)
الحرب الثقافية على المسلمين[١]

● **الخطبة الأولى:**

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون:

● **الحوار مع الآخر:**

نحن المسلمين نؤمن بالحوار مع الآخرين، وبالتسامح مع المخالفين، هذا ما يفرضه علينا ديننا، وما يأمرنا به كتاب ربنا. فالحوار مع المخالف من منهج الدعوة الذى أمر الله به المسلمين حينما قال: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**..﴾ [النحل: ١٢٥] اكتفى فى الموعظة بأن تكون حسنة لأنّها مع الموافقين، ولم يرض فى الجدال إلاّ بأن يكون بالتى هى أحسن.. بالطريقة التى هى أجود وأمثل لأنّه مع المخالفين. وقال تعالى: ﴿**ولا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾. [العنكبوت: ٤٦]

ومن أجل هذا شاركت فى أكثر من مؤتمر للحوار مع النّصارى، ذهبت إلى روما للحوار مع كرادلة المسيحيّين فى روما، وذهبت إلى القاهرة للحوار مع مسيحيّ الشرق والغرب[٢]. هذا ما يأمرنا به الدين، وهذا ما نؤمن به.

---

(١) ألقيت فى جامع عمر بن الخطاب بالدوحة فى ٢٧ شوّال ١٤٢٢هـ الموافق ١١ يناير ٢٠٠٢م.

(٢) من المعلوم لدى الجميع أنّ الشيخ القرضاوى حفظه الله من أبرز العلماء والمفكرين المعاصرين الداعيين إلى الحوار مع الآخرين، وفى طليعة من يرحّب به، بل هو يأخذ على الحركة الإسلاميّة انغلاقها على نفسها، ويدعوها إلى أن توسّع أفقها لتخاطب غيرها ويقول فى كتابه (أولويات الحركة الإسلاميّة فى المرحلة القادمة: ص١٦٤): لقد آن للحركة الإسلاميّة أن تدع الانغلاق على الذات وتخرج من القوقعة، وتعتبر كلّ المفكرين المسلمين منها ولها، وتخوض بهم ومعهم لجّة الحوار مع كلّ الأطراف المخالفة، بل حتى المعادية والحاقدة، فلعلّ الحوار العلمى الهادىء الهادف يجعل المتردد يقتنع، والخائف يطمئن، والمتوتّر يهدأ، حتى الحاقد والمعادى قد يخفف من حقده وعداوته، والله تعالى يقول: ﴿**عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [الممتحنة: ٧]. =

ولكنّ المشكلة أنّ هناك من لا يريد أن يحاورنا إلاّ بسنان السيف، من لا يريد أن يكلّمنا إلاّ بلغة الحرب والقتال.. بالمدافع تدكّ بلادنا.. بالصواريخ.. بالسفن البحريّة.. وبالطائرات الجويّة. ما حيلتنا في هذه الحالة؟ ونحن هنا نقرأ قول الله تعالى: ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾. [البقرة: ٢١٦]

﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ** ﴾، والقتال المكتوب علينا اليوم ليس هو أن نقاتِل والقتال كره لنا، ولكن كُتب علينا أن نُقاتَل نحن ولا نُقاتِل، وأن نحارَب ولا نحارِب، وأن نُضرب في عقر دارنا ولا نستطيع أن نَضرب. هذه هي الحرب المفروضة علينا اليوم.

إنّ حرب اليوم في أفغانستان، وقد تكون غداً في الصومال، أو في العراق[1]، أو في اليمن، أو في أندونسيا، كما قالوا. هم الذين أنفسهم يقولون: هناك بلاد مرشّحة لأن تُضرب وتُغزى بعد أفغانستان.

حرب ثقافية على المسلمين:

والأكثر من ذلك الحرب الثقافيّة المفروضة علينا نحن المسلمين. هناك حرب فكريّة ثقافيّة إعلاميّة مفروضة علينا نحن المسلمين.

منذ زمن، منذ سقوط الاتحاد السوفيتي والإسلام مرشّح لأن يكون عدوّاً للغرب! لابدّ للغرب عامّة ولأمريكا خاصّة من أن يكون لهم عدو يُعبّئون القوى والمشاعر – مشاعر الكراهية – ضدّه.

كان الاتحاد السوفيتي – كما قال (ريجن) – يمُثّل دولة الشرّ، وقد سقطت دولة الشرّ. فمن هو العدوّ الجديد؟ هنالك كَتب الكاتبون وفكّر المفكّرون وخطّط المخطّطون ليجعلوا من الإسلام العدوّ الجديد. وأصبحوا يتحدّثون عن الخطر الإسلامي.. الخطر الكامن في الإسلام، وسمّوه: الخطر الأخضر. قالوا: إنّ هذا

= ومن أجل ذلك دعا الشيخ إلى الحوار مع العقلاء من العلمانيّين، والحوار مع عقلاء الحكام، والحوار مع العقلاء في الغرب، ومع السياسيّين منهم، ومع المستشرقين. انظر كتابه المشار إليه آنفاً (ص ١٦٤ – ١٨٣).

(١) وقع الغزو الأمريكي الغاشم للعراق في أبريل ٢٠٠٣م.

الخطر هو الخطر الأشدّ، بعد أن سقط الخطر الأحمر بسقوط الاتحادالسوفيتى، وبعد أن تقاربنا مع الخطر الأصفر.. الخطر الصينى، لم يبق إلاّ الخطر الأخضر.. الخطر الإسلامى.

إنّ هذا المارد أو العملاق النّائم يخافون أن يستيقظ، ربمّا يدافع عن أرضه، ربمّا يذود عن حرماته، ربمّا يقف فى وجه الصهيونيّة المغتصبة، ربمّا يقف فى وجه الصليبيّة المؤيّدة للصهيونيّة.

إسلامنا ليس خطراً على أحد:

ووقف بعض عقلائهم وبعض منصفيهم ضدّ هذه الدعوة، وكتب منهم من كتب يقول: هل الخطر الإسلامى حقيقة أو أسطورة؟ وبيّنوا فيما كتبوه أنّ هذه أسطورة. لا يوجد خطر إسلامى. من أين يوجد الخطر الإسلامى؟

الإسلام فى الحقيقة ليس خطراً، الإسلام رحمة الله للعباد: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال ﷺ: «إنّما أنا رحمة مهداة»[١]. لم يكن الإسلام خطراً، هو خطر على الاستعمار والاستعباد، وهو خطر على المظالم والاستبداد، وهو خطر على الإباحيّة والفساد، ولكنّه ليس خطراً على العالم، وليس خطراً على البشريّة السويّة.

ولكن هكذا أرادوا.

وكتب الكاتبون يبرّرون للسياسات الأمريكيّة المرتقبة، التى يريدون أن يسيطروا بها على العالم، وقد أصبحت القطب الأوحد، والقّوة المتفرّدة بالنفوذ والسيطرة فى العالم. يريدون أن يفلسفوا لأمريكا سياساتها، كما يفعل بعض المفتين للسلاطين حينما يُفرّخون لهم فتاوى تبرر لهم جرائمهم، وتحلل لهم استبدادهم، ومظالمهم، بأساليب فقهيّة. نجد من الكتّاب والمفّكرين الغربيين من يفعلون ذلك مع الساسة، يبّررون لهم جرائمهم، ويسوّغون لهم مظالمهم، باسم الفلسفة السياسيّة، وباسم العلم، وباسم النظريّات المختلفة.

---

(١) رواه ابن سعد فى الطبقات (١/١٩٢) عن أبى صالح مرسلاً، والحاكم عن أبى هريرة يرفعه، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبى (١/٩١) وذكره الألبانى فى الصحيحة ٤٩٠).

رأينا مثل ذلك فيما كتبه (فرنسيس فوكوياما) الأمريكى – اليابانى الأصل – عن نهاية التاريخ. كتب كتابا اسمه: (نهاية التاريخ)، ذكر فيه أنّ التاريخ قد انتهى وتوقّفت حركته بانتصار النّظام الغربى على أنظمة العالم! النظام الغربى بوجهه السياسى الديمقراطى، وبوجهه الاقتصادى الرأسمالى وبوجهه الاجتماعى اللّبرالى، هذا النظام الغربى قد انتصر على كلّ أنظمة العالم وعلى كلّ فلسفات العالم!

وقام كاتب آخر بعده بسنتين فكتب مقالة وسّعها وعمّقها تحت عنوان: (صراع الحضارات) أو (صدام الحضارات)، وقال: إنّ هناك حضارات سبعاً أو ثمانياً فى العالم – عدّدها – ولكن قال: من هذه الحضارات حضارتان هما المخوّفتان: الحضارة الكونفوشيوسيّة (أى حضارة الصين)، والحضارة الإسلاميّة، وإذا تعاونت هاتان الحضارتان كانتا خطراً علينا.

وذكر: أنّ الحضارة الكونفوشيوسيّة يمكن التفاهم والتقارب معها، ولكنّ الحضارة الخطرة هى الحضارة الإسلاميّة.

هذا ما قاله هذا الرجل (هانتنغتون) فى كتابه هذا.

والآن هؤلاء الكتّاب – فوكوياما وهانتنغتون وغيرهما – يكتبون من جديد ليشعلوا المعركة بين الغرب والإسلام وبين أمريكا والإسلام، فكتب (هانتنغتون) هذا يقول: الآن نحن فى عصر حروب الإسلام.. وأنّ حروب الإسلام بدأت! مع أنّ الحروب الآن ضدّ الإسلام، الإسلام لا يحارِب، ولا يُقاتِل، ولكنّه يُقاتَل ويُغزى فى عُقر دياره.

وكتب (فوكوياما) هذا مقالة طويلة يقول: إن هناك مشكلة مع الإسلام، مشكلة مع الأصولية الإسلامية، وسماها (الفاشية الإسلامية)، كما كانت هناك مشكلة من قبل مع الفاشية الايطالية، والنازية الألمانية، والشيوعية الروسية والسوفيتية، يقول: مشكلة اليوم مع الفاشية الاسلامية! وتتجسد هذه المشكلة فى رأيه فى أنها ضد الحداثة. أى أن الإسلام إذا نُظِر إليه فى أصوله يجد أن التعاليم الإسلامية والقيم الإسلامية والأحكام الإسلامية ضد الحداثة.

ما الحداثة؟ الحداثة هى الأفكار الحديثة والنظريات الحديثة الجديدة التى

تحكم العالم، وتقود العالم فكريا، ثم تقوده بعد ذلك اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً.

هل الإسلام ضد الحداثة؟

إن كانت الحداثة التجديد فى أساليب الحياة، فإن الإسلام يرحب بكل جديد نافع، كما ينتفع بكل قديم صالح، من أجل هذا ننتفع بنتائج العلم والتكنولوجيا العالمية وبثورات العلم المختلفة: الثورة التكنولوجية، والثورة الالكترونية، والثورة البيولوجية، والثورة المعلوماتية، والثورة الاتصالاتية، ننتفع بهذا كله ولا نجد فِي ذلك حرجاً، بل ديننا يحتم علينا أن نأخذ بالتى هى أحسن: ﴿ **الَّذِين يستمِعون الْقَوْل فَيَتَّبِعون أَحْسنه** .. ﴾ [الزمر: ١٨]، المؤمن يرنو إلى التى هى أحسن فى كل شىء، وهذه الأشياء (بضاعتنا رُدت إلينا). نحن الذين ابتكرنا المنهج العلمى التجريبى الاستقرائى، وأخذته منا الحضارة الغربية التى كانت تعتمد الفلسفة الصورية الأرسطية القديمة، باعتراف مؤرخى العلم أنفسهم: (جوستاف لوبون) و(جورج سارتون) و(درايبر) و(برڤولت) وغيرهم، قالوا: إن المنهج العلمى التجريبى إنّما أُخذ واقتبس من حضارة العرب والمسلمين. فهذه بضاعتنا ردت إلينا.

لذلك نرحب بكل وسائل التكنولوجيا وبكل نتائج ثورات العلم. ولكنا نستخدمها بمنطق الإسلام، وتحت مظلة الإسلام، وتحت سلطان قيم الإسلام، فنحن بها نُحيى ولا نُميت، ونبنى ولا نهدم، ونعمِّر ولا نخرّب، هذا ما أمرنا به ديننا.

فإذا كانت الحداثة هذا، فنحن نستفيد من الحداثة، ومن أجل هذا بعثنا طلابنا إلى الغرب يستفيدون من علومهم، وركبنا طائراتهم، واشترينا أسلحتهم، وإن كنا للأسف نحن المسلمين لا نزال عالةً على غيرنا، والمفروض فينا بحكم ديننا أن يكون لنا قدرات ذاتية واكتفاء ذاتى بحيث لا نحتاج فى أمورنا إلى غيرنا. للأسف كم قلت: إن أمة سورة (الحديد) لم تتعلم إلى اليوم صناعة الحديد، لم تتقن صناعة الحديد، ولا زلنا عالةً على من سِوَانا. وحتى فى الزراعة، بلادنا بلاد زراعية، ومع هذا نستورد نصف أقواتنا أو أكثر من غيرنا، هذا ما لا يجوز لهذه الأمة.

على كل حال، الحداثة إذا كان المقصود منها أن نأخذ بالأساليب العلمية، فنحن نأخذ بالأساليب العلمية، ونأخذ أفضل ما عند الغرب، أو هكذا يُفترض فينا. إذا كان عنده نظام جيد للنواحى الصحية أو لتوزيع البريد أو رعاية الأطفال أو نحو ذلك، فنحن نأخذ بهذا ولا نرى فى ذلك حرجا.

الحداثة التى يرفضها الإسلام:

ولكن عندنا قيم تحكمنا، عندنا شريعة تضبط سلوكنا، عندنا عقيدة نستمسك بها. فهل يُراد بالحداثة أن ننسلخ من عقيدتنا وأن نتحرر من شريعتنا وأن نتحلل من قيمنا؟ هل يُراد بالحداثة هذا؟ كأن هذا هو ما يريده (فوكوياما): أننا لكى نكون حدثاء.. لكى نكون مع الحداثة لابد أن نُحلّل الربا، ولابد أن نجعل المرأة والرجل سواء فى كل شىء، وأن يستمتع الرجل بالمرأة وتستمتع المرأة بالرجل! لم هذه التحريمات الكثيرة: الخلوة بالمرأة ممنوعة.. تبرج المرأة ممنوع.. الزنا حرام.. مقدمات الزنا حرام! حتى النظر بشهوة لا يجوز؟! هذه ضد الحداثة، لا يجوز أن نفرض على المرأة الحجاب: ﴿.. **وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ** ..﴾ [النور: ٣١] هذا ضد الحداثة!! ضد الحداثة أن نُحرّم الشذوذ الجنسى! الشذوذ الجنسى حلال عند القوم ومباح، زواج الرجال بالرجال وزواج النساء بالنساء أمر جائز! نوادى الشواذ وجمعيات الشواذ يجب أن يسمح بها! عابوا على مصر أنها حاكمت بعض الشواذ واعتبرت الشذوذ جريمة، وهذا مخالف للعصر ومخالف للحداثة!

هذه هى الحداثة التى يريدونها. يريدون أن نُحل ما حرم الله، ونحرم ما أحل الله، وأن نسقط الفرائض، وأن نتخلى عن الشريعة، فهذه مخلفات العصور القديمة! كيف تحكمنا شريعة نزلت منذ أكثر من أربعة عشر قرنا؟! نحن فى القرن الخامس عشر، أبعد أربعة عشر قرناً تحكمنا شريعة نزلت من ذلك الوقت؟[1] هذا ضد الحداثة!

---

(١) أجاب الشيخ عن هذه الشبهة بإفاضة وتفصيل فى العديد من كتبه، مثل: (شريعة الإسلام صالحة للتطبيق فى كل زمان ومكان)، (عوامل السعة والمرونة فى الشريعة الإسلامية)، (الاجتهاد فى الشريعة الإسلامية)، (الخصائص العامة للإسلام - فصل الجمع بين التطور والثبات)، (بينات الحل الإسلامى وشبهات العلمانيين والمتغربين - فصل إسلام متطور أم تطور مسلم؟!)، (الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه - فصل صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان).

معنى هذا أن (فوكوياما) يريد أن نتخلى عن إسلامنا.. أن نتخلى عن عقائد هذا الدين، وعن قيم هذا الدين، وعن شرائع هذا الدين، لنسير فى ركاب الغرب، ونسير خلف أمريكا، ونسير خلف هذه النظريات الحديثة التى أرادوا أن يفرضوها علينا فى مؤتمر السكان فى القاهرة فى صيف (١٩٩٤م)، وأن يفرضوها على العالم فى مؤتمر المرأة فى بكين (١٩٩٥م)، ولا زالوا إلى اليوم يحاولون أن يفرضوا مواثيق، ويفرضوا وثائق معينة حول المرأة وحول الطفل ويسمون هذا: (أشكال التمييز)! الإسلام يقول هناك رجل وامرأة: ﴿**وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ**﴾ [النجم: ٤٥] وجعل لكل منهما خصائص جسمية وعصبية، فهذا خلق الله. هم يريدون أن يلغوا جميع أشكال التمييز، ويعتبرون أى تمييز بين الرجل والمرأة منافياً للحداثة، ومنافياً لتوجه الحضارة الحديثة.

هل هذا ما يريده منا السيد (فوكوياما)؟ هل يريد أن نتخلى عن ثوابتنا؟

لو كان يريد منا أشياء هامشية مما تختلف فيها الاجتهادات، وتتطور بتطور الزمان وتتغير بتغير المكان والإنسان، لقبلنا هذا. بل نحن من الدعاة إلى الاجتهاد وإلى التجديد، ولكنه يريد أن نتخلى عن الثوابت، وأى أمة تتخلى عن الثوابت فقد فنيت وذهب ريحها، لأنها لم تعد أمة. إنها أمة بثوابتها، فإذا تغيرت ثوابتها لم تعد هذه الأمة أمة.

ماذا يريد منا هؤلاء القوم؟ لا يريدون أن يبقوا على شىء فينا يريدون أن ينشئونا خلقا آخر!

العلمانية ليست دواء ناجحاً لنا:

إنهم يشخصون داءنا فى أننا ضد الحداثة، وأن دواءنا فى أن نقبل العلمانية، وأن العلمانية هى التى تقبل التسامح والتعايش مع الآخرين.

ومعنى العلمانية: فصل الدين عن المجتمع وعن الحياة وعن الدولة، وأن يكون الدين شيئاً فى ضمير الفرد، فإذا خرج من ضميره فليكن بين جدران المسجد. أما أن يكون الدين موجهاً للحياة.. للفرد.. للأسرة.. للمجتمع.. للحاكم والمحكوم.. للتعليم، للتربية، للثقافة، للاقتصاد، للسياسة... فهذا ما ترفضه العلمانية.

ونحن عندنا دين يوجه الإنسان من المهد إلى اللحد، منذ يولد وإلى أن يموت. هناك أحكام تتعلق بالمولود عند ولادته وبالميت عند احتضاره وبعد موته. إنه يصحب الإنسان فى رحلة حياته، ويصحب الإنسان فى كل جوانب حياته.. فى المسجد إذا عبد.. فى الطريق إذا مشى.. فى البيت إذا جلس.. فى مكتبه إذا ذهب إلى المكتب.. فى مدرسته.. فى جامعته.. فى مصنعه. إنه يعلمه ويتدخل فى مأكله ومشربه وملبسه ومسكنه وحياته كلها، حتى يقول له: لا تأكل كذا ولا تشرب كذا، ولا تلبس كذا، ولا تفعل كذا ﴿.. **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ**﴾ [النحل: ٨٩].

إنهم يريدون أن نتخلى عن شمول هذا الدين، وأن نجعل الدين عقيدة فى الضمير فقط، لا تحكم الحياة، ولا تنظم مسيرة الفرد أو الأسرة أو المجتمع.

إن هذا أمر غير الإسلام. إنهم يريدون أن يبدلوا ديننا بدين آخر.

إذا كانت المسيحية تقول: أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله، فإن ديننا يقول: قيصر وما لقيصر لله الواحد القهار. كل شىء فى هذه الدنيا لله:

﴿ **لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ..** ﴾ [البقرة: ٢٨٤] و﴿ .. **لِلَّهِ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ ..** ﴾ [يونس: ٦٦] و﴿ **لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ..** ﴾ [المائد: ١٢٠، الشورى: ٤٩]. له كل ما فى هذا الكون ملكاً وملكاً، فهو الملك وهو المالك، فكيف يُراد منا أن نتخلى عن ثوابت ديننا، والله تعالى يقول: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]. ﴿ **صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ** ﴾ لا يتصرف فيها غير الله، الله هو الآمر الناهى، هو المحلِّل المحرِّم، ولا أحد غير الله يملك ذلك: ﴿ **أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ..** ﴾ [الأنعام: ١١٤]؟

نحن المسلمين متمسكون بديننا، لا نرى لنا حياة بغير هذا الدين، ولا عزَّة بغير هذا الدين، ولا قوة بغير هذا الدين، ولا سعادة بغير هذا الدين. فالدين هو مرجعنا، والدين هو أساس وجودنا، والدين هو مبرر بقائنا، ولن نتنازل عن ديننا

بمُلك المشرق والمغرب، لو وضعوا الشمس فى أيماننا والقمر فى شمائلنا: لن نتنازل عن ديننا ما دام فينا عرق ينبض، حتى يظهره الله أو نهلك دونه.

ونحن موعودون أن هذا الدين منصور وظاهر على الأديان كلها كما قال عز وجل: ﴿ **يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ..** ﴾ [التوبة: ٣٢، ٣٣].

﴿ **يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ** ﴾ كأنما حسبوا أن هذا النور الإلهى - أو الشرع الإلهى - شمعة يمكن أن تنفخ فيها فتنطفىء جذوتها، وهيهات. إنه كالشمس، ولو نفخت الآلاف والملايين فى الشمس لتطفئها هل تنطفىء الشمس؟ هكذا هو نور الله. ﴿ **وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ** ﴾ وهذا الإباء الإلهى هو الذى يطمئننا على مستقبل هذا الدين.

أمريكا وتغيير مناهج التعليم فى بلادنا:

إن أمريكا طلبت من عدد من البلاد الإسلامية أن تراجع مناهجها التعليمية فى الثقافة الإسلامية، والدراسات الدينية، وأن تحذف منها ما لا يتفق مع العصر. وأحب أن أقول إننا قبل أن تطالبنا أمريكا، طالبنا المسلمين بهذا من عشرات السنين، كتبنا فى هذا[1] وحاضرنا فى هذا وخطبنا فى هذا، نحن نوجّه المسلمين دائماً أن يتجددوا ويّجدِّدوا. ولكن لا يمكن أن نقبل لدولة من الدول مهما كانت عظمى أو كبرى أن تفرض علينا رؤيتها، لا يمكن أن نحوّل الإسلام إلى إسلام أمريكانى كما يريد الأمريكان لهذا الدين، وأن نغير فى طبيعة الإسلام حتى يرضى عنا الأمريكان! أهذا معقول؟ أمة إسلامية تبلغ ملياراً وثلث مليار من البشر يُراد من فئة من الناس أن تسيرّها كما تريد وأن تصبغها بالصبغة التى تريدها، وهى مصبوغة بالصبغة الربانية: ﴿ **صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً..** ﴾ [البقرة: ١٣٨].

---

(١) انظر على سبيل المثال ما كتبه الشيخ القرضاوى حفظه الله حول هذا الموضوع فى كتابه (رسالة الأزهر بين الأمس واليوم والغد) الذى نشرته مكتبة وهبة عام (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) تحت عنوان (مراجعة المناهج) ص ١٠٣ - ١٢١. وانظر كذلك ما ذكره الشيخ فى مذكراته (ابن القرية والكتاب الجزء الأول) وفيه كتب الشيخ وقفات مع مراحل التعليم المختلفة التى مربها.

نرحب بتطوير التعليم وفق تعاليمنا وقيمنا :

نحن ندعو إلى تطوير التعليم، ومناهج التعليم، ومناهج الإعلام، ومناهج الثقافة، وأن ننظر فيها بأنفسنا.. بأعيننا لا بأعين غيرنا، نفكر برؤوسنا لا برؤوس غيرنا، لسنا غنماً تُساق، لسنا قطيعاً من قطعان المواشي يسيروننا كما يريدون.

نحن أمة لها رسالتها، ولها مقوماتها، ولها خصائصها. فنحن الذين نصلح من أنفسنا، ونغير ما بأنفسنا ليغير الله ما بنا، وفق القاعدة القرآنية الصلبة: ﴿ ..**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**.. ﴾ [الرعد : ١١].

نحن مطلوب منا أن نجدد مناهجنا التعليمية، وأن نجدد أنظمتنا السياسية، وأن نجدد حياتنا الاجتماعية. ومعظم ما يطلب تجديده منا أن نرد هذه الحياة الثقافية والفكرية والدينية والسياسية والاجتماعية إلى أصول الإسلام الصحيحة، لأنه قد أفسدَنا تقليد الغرب. معظم ما نشكو منه في الواقع هو من تقليدنا الأعمى للغرب. التطرف العلماني الذي يريد أن يسلخنا من جلدنا، ويجعل منا أذناباً لغيرنا، نتبعهم في الخير والشر، والحلو والمر، ما يُحَب وما يُكْرَه، وما يُحْمَد وما يُعاب، هذا هو التقليد الأعمى الذي نقصده.

نحن ضد التقليد، نرفض التقليد الأعمى، سواء كان تقليداً للأقدمين من علمائنا وأئمتنا، أو كان تقليداً للآخرين من وراء البحار. التقليد لغيرنا مرفوض، سواء كان هذا غيرٌ في المكان أم غيرٌ في الزمان. نحن نريد أن نكون أتباع أنفسنا، نفكر بعقولنا وفق أصولنا المرعيّة وضوابطنا الشرعية، فنحن لسنا أمة سائبة، نحن أمة منضبطة، رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبياً ورسولا، وبالقرآن منهاجاً وإماماً. فلا بد أن تفكر في هذا الإطار، فهي ليست أمة منقطعة عن مواريثها، إنها أمة ذات رسالة.. أمة ذات أصول.

أما أن يراد لهذه الأمة أن تتخلى عن ربانيتها، وعن أخلاقيتها، وعن شريعتها، وعن منهجها، وعن تراثها، وتتبع سنن الآخرين شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جُحر ضب لدخلته وراءهم، فهذا ما ننكره، وهذا ما نرفضه.

ومما يؤسف له أن نجد من بعض أبناء المسلمين – من أبناء جلدتنا الذين هم منا ويتكلمون بألسنتنا – من يحطب في حبل (فوكوياما) وأمثاله، ويسير في ركابهم، ويتبنى نداءاتهم، ويريد من الأمة أن تُغيّر كل شيء وفق ما يريدون.

هذا من العجب العاجب، وهذا من الهوس.. هوس العَصْرَنة، وهوس الرؤية، والتباس المفاهيم: أن نجد من أبناء المسلمين من يدعو إلى اتباع الآخرين واقتفاء سننهم، هذا ما لا نحب أن يكون.

ما نريده من المسلمين:

وما نريده من أبناء المسلمين: أن يراجعوا أنفسهم، وأن يفكروا بعقولهم، متحررين من التأثر بهذا الغزو الماكر.

نحن أمة خالدة، أمة لها دينها، ولها ميراثها، ولها تقاليدها.

نحن ندعو إلى استلهام الماضى، ومعايشة الحاضر، واستشراف المستقبل. لا نريد أن ننقطع عن ماضينا، ولا نريد أن ننقطع عن حاضرنا، ولا عن رؤية مستقبلنا. إن الله خلق للإنسان ذاكرة لكى يتذكر الماضى، وخلق له مخيلة لكى يتخيل المستقبل، فلابد أن نراعى سنن الله عز وجل. هذا ما نريده من هذه الأمة.

إننا واثقون بأن هذه الأمة لن تموت إن شاء الله. هذه الأمة قد تنام أو تنوم، ولكنها لن تموت.

نحن – أيها الإخوة – ضد الغلو، وضد التطرف، وقد كتبت كتباً عدة ضد الغلو والتطرف. من أوائل هذا القرن نُشر كتابى (الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف)(*)، حللت فيه ظاهرة التطرف الدينى وبينت أسبابها، وشخصت الداء ووضعت الدواء والعلاج. وفى كتب أخرى كثيرة(١) أنا ضد الغلو وضد التطرف وأدعو إلى المنهج الوسطى.. منهج الاعتدال، ولكن بعض الناس ربما يفهم منهج الاعتدال بأنه منهج التساهل والتفريط فى الأصول والثوابت. لا، الأصول والثوابت نعض عليها بالنواجذ، ونستقتل دونها، ونموت فى سبيلها، ولا نفرط فى شىء منها صغر أو كبر.

الأمة بثوابتها، الأمة بأصولها. نحن نيسر فى الفروع ونشدد فى الأصول، لأن الأصول هى التى تمسك الأمة أن تفنى أو أن تذوب.

(*) وهو الكتاب الثانى من سلسلة كتاب الأمة، ثم نشرته بعد ذلك مؤسسة الرسالة.

(١) ككتاب (الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد) الذى حاول فيه ترشيد الصحوة وتسديدها من خلال خطوط عشرة، أفرد كل خط منها فى فصل خاص مثل: (من التعصب والانغلاق إلى التسامح والانطلاق) و(من الغلو والانحلال إلى الوسطية والاعتدال) و(من العنف والنقمة إلى الرفق والرحمة).

OBEIKAN.COM

يا أيها الإخوة، إننا فى حرب ثقافية علينا، ليست الحرب حرباً عسكرية فقط، ولكنها حرب ثقافية، يشنها علينا الغرب بأدوات شتى، وهو يملك من الأدوات ما لا نملك، حتى إن الرجل الذى أخذ جائزة (نوبل) هذا العام فى الأدب إنما أخذها لأنه كتب ضد الإسلام - وهو بريطانى من أصل آسيوى - وقال: الإسلام هو الذى يغير فطرة الناس، حتى إنه غير فطرة الشعوب الآسيوية وأفسدها، ولن تعود هذه الشعوب الآسيوية إلى فطرتها إلا إذا تخلت عن الإسلام، وعلينا أن نساعدها على أن تتخلص من هذا الدين المتوحش! من أجل هذا أعطوه جائزة نوبل فى الأدب.

الغرب يريد منا ما لا يمكن أن نقبله.

نحن نريد أن نتفاهم مع الغرب، وأن نتحاور مع الغرب، وأن نتفاعل مع الغرب، وأن نتعايش مع الغرب، لأن الإسلام لا يفرق بين غرب وشرق، والله تعالى يقول: ﴿**وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**..﴾ [البقرة: ١١٥]. نحن لا نقول كما قال ذلك الأديب قديما: الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا. لا، بل نقول: يمكن أن يلتقيا. وهناك مسلمون الآن فى الغرب - في أوربا وفى أمريكا - بالملايين، وهم يقومون بأنشطتهم. وبعض البلاد أقرب من بعض فى التسامح، هناك بلاد متسامحة مع المسلمين، وهناك بلاد متشددة مع المسلمين.

ونحن ننصح المسلمين حيثما كانوا أن يثبُتوا فى مواقفهم، وأن يصروا على دينهم، وأن لا يتزعزعوا بالتهديدات أو بمجرد الإشاعات. لا بد أن يثبتوا ويظلوا فى أماكنهم، مستمسكين بالعروة الوثقى لا انفصام لها، داعين إلى هذا الدين القويم بالحكمة والموعظة والحوار بالتى هى أحسن، حتى يظهر الله دينه ولو كره المشركون: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ [التوبة: ٣٣، الصف: ٩].

أقول قولى هذا، وأستغفر الله تعالى لى ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

● **الخطبة الثانية:**

أما بعد فيا أيها الإخوة:

حول الأحداث فى أرض فلسطين:

ما يجرى فى أرض النبوات.. أرض المقدسات.. أرض الإسراء والمعراج.. أرض المسجد الأقصى، ما يجرى فيها من أحداث تقشعر منها الأبدان، وتشيب لهولها الولدان، ما يجرى من سفك للدماء، ما يجرى من تخريب للمنازل، حتى إنهم بالأمس دمروا أكثر من سبعين منزلاً لعوائل فقيرة لا تملك شيئا، حتى أصبح معظم الشعب الفلسطينى يعيش فى الخيام.

هذا الشعب المسكين الذى قُدّر عليه منذ أكثر من خمسين سنة أن يعيش فى المخيمات، أصبحت المخيمات والخيام تزيد يوماً عن يوم.

ماذا يجرى فى فلسطين؟ ماذا يجرى بين السلطة والشعب؟ ماذا يجرى بين السلطة وفصائل الجهاد؟

إن الذى يجرى أمر خطير، والذى أريد أن أنبه عليه اليوم - ولابد أن أعود إليه فى الخطبة القادمة - هو أن شارون لا يمكن أن يرضيه شيء. مهما حاولت السلطة، ومهما حاول الرئيس عرفات وأعوانه، مهما حاولوا أن يرضوا شارون فشارون لن يرضى. لن يرضى شارون إلا أن يَقْضى على الشعب الفلسطينى، أن يفرّغ فلسطين من أهلها، أن يُجْبِر هؤلاء الناس على أن يغادروا، أن تصبح فلسطين كلها (إسرائيل)، وهى الآن إسرائيل. ماذا يملك الفلسطينيون؟ لا يملكون أرضاً ولا سماء، حتى إن عرفات نفسه لم يستطع أن ينتقل من مكان إلى مكان إلا إذا أذنوا له!! أى سلطة هذه؟!

وهل من أجل هذا أن نُضحّى بإخواننا ونلاحقهم ونعتقلهم ونقدمهم إلى أعدائنا وأعدائهم؟ هذا أمر فى غاية الخطورة. ولا بد لنا من العودة إلى الحديث عنه.

لا يمكن أن ينقذ فلسطين إلا الجهاد.. إلا المقاومة، ما أُخذ بالقوة لا يُسترد إلا بالقوة، وقد أذن الله للذين ظُلموا أن يقاتلوا: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**﴾ [الحج: ٣٩]، هذه سنة من سنن الله لا يمكن أن تهمل.